المجلس (٨)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأَتَمَّانِ الأَكْمَلَانِ عَلَىٰ المَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

أَمّا بَعْدُ؛

فمعاشر الفضلاء! نجتمع في مسجد رسولنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في فجر يوم السبت، نجتمع على عِلم عظيم ينبغي على كل مُسلمٍ أن يعتني به، وكيف لا يكون ذلك كذلك! وَهُوَ عِلم يتعلق بأعظم المأمورات، وأول الحقوق وأعلى الحقوق، ومفتاح الإسلام ومفتاح الجنة؛ يتعلق بعِلم التوحيد.

حيث نشرح في هذا الدرس كتابًا صغيرًا في حجمه، عظيمًا في نفعه، كبير الفائدة، عظيم العائدة، مَا أحوجنا إليه في هَذِه الأيام التي كَثُرَت فيها شُبهات المخالفين ووصلت إلى الناس بواسطة هَذِه الأجهزة التي في أيديهم؛ فصار المخالفون لدعوة الأنبياء والمرسلين يُلقون شُبهَهُم هنا وهناك، والناس يسمعون لها فما أحوجنا إلى أن نعرف دفع هَذِه الشُبهات.

وهذا مَا يوجد كثيرٌ منه؛ أعني: كيف ندفع شبهات المُبطلين على توحيد العبادة في هذا الكتاب الذي معنا، أعني كتاب **"كشف الشُبهات لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب"** رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

وهذا الكتاب كما عَلِمنا على قسمين:

القسم الأول: في مُقدَمَةٍ تُكتَب بماء العين لِما فيها من غزير العِلم، وعظيم النفع، مَن عرفها تيقن من صحة دعوة التوحيد، وازداد يقينه بتوحيده، واندفعت عنه الشُبهات من أصلها.. وقد قرأنا كثيرًا منها وبَيَّنا أنَّا نستخلص منها ثمانية أصول ولا زلنا نقرأ فيها.

والقسم الثاني: في بيان رد الشُبهات على توحيد العبادة.. وَهُوَ مَا سنصل إليه إن شاء الله عَزَّ وَجَلَّ.

(المتن)

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِينَ نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ. أَمَّا بَعْدُ؛ فاللهم اغفر لنا ولشيخنا والسامعين.

قال الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى في رسالته كشف الشُبهات: وَقَدْ يَقُولُهَا وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهَا تُقَرِّبُهُ إِلَىٰ اللهِ كَمَا ظَنَّ الكُفَّارُ خُصُوصًا إِنْ أَلْهَمَكَ اللهُ مَا قَصَّ عَنْ قَوْمِ مُوسَىٰ مَعَ صَلَاحِهِمْ وَعِلْمِهِمْ أَنَّهُمْ أَتَوْهُ قَائِلِينَ: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨] فَحِينَئِذٍ يَعْظُمُ خَوْفُكَ وَحِرْصُكَ عَلَىٰ مَا يُخَلِّصُكَ مِنْ هَذَا وَأَمْثَالِهِ.

(الشرح)

هذا مُتَعَلِّقٌ بالأصل السابع الذي استخلصناه من هَذِه المُقدمة؛ وَهُوَ: أن علامة صحة التوحيد الخوف من الشِرك، المُوحِد يعلم أن توحيده كَنزٌ عظيم، وأنه تجب العناية بالتوحيد.. ومن عنايته بالتوحيد: أنه يخاف من الشِرك، فإن الإنسان قد يقول كلمةً يظن أنها تُقربه إلى الله عَزَّ وَجَلَّ وَهِيَ تهوي به في النار عياذًا بالله من ذَلِكَ.

فالمُوحِد يحذر الشِرك دائمًا ويسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يجنبه الشِرك؛ كما قال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ المُوحِد الحنيف الذي أمرنا الله عَزَّ وَجَلَّ أن نتبع مِلته عَلَيْهِ السَّلَامُ يخاف على نفسه وعلى ذريته الشِرك؛ فينبغي أن يكون هذا دَيدنًا للمؤمن.

إذا كان الإنسان قد يقول الكلمة يظن أنها قُربَة، وحقيقتها أنها شِرك وكُربة؛ فكيف لا يخاف الشرك، وكيف لا يحذره وهذا الخوف خوفٌ يدعو إلى الحذر وإعمال الأسباب التي يبتعد بها المؤمن عَنْ الشِرك وأهله؛ ومن ذَلِكَ: تعلُم التوحيد ومعرفة أدلته، ومعرفة الشِرك حتى يحذره المؤمن.

وإذا كان أصحاب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وهم مع نبيٍ من أنبياء الله عَزَّ وَجَلَّ قالوا لَهُ: **﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾** فكيف بغيرهم؟!

وإذا كان أصحاب محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَنْ كان حديث عهد بإسلام قالوا للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ» فكيف يستبعد الإنسان الشِرك عَنْ نفسه، وكيف يغفل عَنْ نفسه؟!

لا شك أيها الفضلاء! أن الشيطان أحرص مَا يكون على أن يُسقِط الإنسان في الشِرك، هبط إبليس إلى الأَرْض مع آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ لحِكمةٍ عظيمة، وكان الناس على التوحيد، وظل إبليس يوسوس لهم راجيًا أن يُوقِعَهم في الشِرك وظلوا عشرة قرون على التوحيد وإبليس لا ييأس منهم، ولا يَفتُر عَنْ وسوسته حتى ظفر منهم بباب الغلو في الصالحين، وأخذهم إلى الشِرك خُطوةً خُطوة، فكيف نغفل عَنْ أنفسنا في باب التوحيد، والحذر من الشِرك ونحن ندرك هذا الأَمْر العظيم؟!

إذًا أيها المُوحِد! عليك أن تفرح فرحًا شرعيًا بتوحيدك أن هداك اللَّهِ، وعلمك اللَّهِ، وبَصَرك اللَّهِ، وأنقذك الله، وأنت ترى كثيرًا من الناس يَتَرَدون في الشِرك، أُناسٌ معهم شهادات عُليا، أُناسٌ يُدَرِسون الناس.. ومع ذَلِكَ: تجد في كلامهم الشِرك، وتجد في أفعالهم الشِرك، والله أنقذك من هذا وجعلك مُوحِدًا على الجادة على صراط الله المستقيم؛ ينبغي أن تفرح بفضل الله عليك، ونعمة الله عليك، وأن تعتقد اعتقادًا جازمًا أن هذا إنَّمَا هو من فضل الله والله ما نلته بذكائك، والله مَا نلته بعلمك، والله مَا نلته بنسبك، وإنما هو محض فضل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وعليك أيضًا: أن تكون خائفًا من الشِرك حَذِرًا منه، فَمَنْ يعلم أن عدوًا يتربص به يريد قتله يكون حَذِرًا منه دائمًا ولا يغفل عَنْ نفسه.

(المتن)

وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ مِنْ حِكْمَتِهِ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا بِهَذَا التَّوْحِيدِ إِلَّا جَعَلَ لَهُ أَعْدَاءً؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٢].

(الشرح)

☜ **سُنَة الله في خلقه لحكمةٍ عظيمة:** أنه مَا قام قائمٌ يدعو إلى التوحيد، وإلى الحق إلَّا كان لَهُ مُخالفون يقابلونه، ويردون قوله، وينالون منه ومن دعوته، يُعَاضِد بعضهم بعضًا مع اختلاف مشاربهم، لكن يجمعهم مخالفة الحق، وإرادة كسر الحق ودفعه، فخير الناس وأخلص الناس وأحسن الناس بَيانًا رُسُل الله عَلَيْهِم السَّلَامُ الذين يُوحَى إليهم، وجاءوا بالحق المُبين وبينوه وبلغوه البلاغ المُبين، ودل على ما يقولون: الوحي، والآيات الكونية، والآيات النفسية.. وغيرها؛ ومع ذَلِكَ كان لهم

أعداء يخالفونهم فيما يدعون إليه، ويقابلونهم ويَعضُد بعضهم بعضًا، ويُوحِي بعضهم إلى بعض مَا يظنونه عِلمًا يزخرفونه بحُسِن البيان ليصدوا الناس عما يأتي به رُسُل الله عَلَيْهِم السَّلَامُ.

كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ﴾ هَذِه كُلية تامة.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ يقول العُلماء: كل بعيدٍ عَنْ الخير شيطان؛ لأن الشيطان معناه من البُعد، فكل بعيد عَنْ الخير شيطان، فشياطين الإنس هم البعيدون عَنْ الخير من الإنس، وشياطين الجن هم البعيدون عَنْ الخير من الجن، ورأسهم الذي يقود الجميع: إبليس.

﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ﴾ فهم يزخرفون مَا يقولون، فقولهم له رونقٌ يغرون به قُصار النظر ففي كلامهم زُخرفٌ، وجمالٌ، وبلاغةٌ، ورونقٌ، لكنه في الباطل يخدعون الناس الجُهال بأساليبهم ويغرونهم.

وكما قال سبحانه: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ [الفرقان: ٣١]، فهؤلاء الأعداء للرُسُل المُتعاضدون مع اختلافهم مجرمون؛ لأن همهم دفع الحق والحيلولة بينه وبين الناس ويستعملون في ذلك كل طريقٍ؛ فتارةً يُشَوِهون الرُسُل برميهم بما يعلمون هُم أن الرُسُل بُرئاءُ منه.

فقد يقولون عَنْ الرسول: إنه ساحر، وقد يقولون عنه: إنه مجنون، وقد يقولون عنه: إنه يأخذ عَنْ الجن.. ونحو ذلك من الألقاب التي يعلمون أن الأنبياء عَلَيْهِم السَّلَامُ سليمون منها، وتارةً يشوهون الحق نفسه بأن يصوروه على غير صورته، وتارةً يضعون الشُبهات الحائلة بينه وبين الناس.. فهذه ثلاثة أساليب للمجرمين أعداء الرُسُل.

وكذلك لأعداء أتباع الرُسُل؛ مَا من داعٍ يدعو إلى الحق، يدعو إلى السُنَة، يدعو إلى الرجوع إلى صافي الدين إلَّا ويقوم لَهُ أعداء يخالفونه ويتخذون هَذِه الأساليب الثلاثة وكلها إجرام، تشويهٌ للداعية بنبزه بألقاب تُنَفِر الناس عنه، أَوْ ربطه بأمورٍ تجعل الناس يكرهونه وَهُوَ بريءٌ من ذَلِكَ، أَوْ بتشويه دعوته والزعم أنه يخالف الإجماع، ويخالف أكثر المؤمنين.. ونحو ذَلِكَ، أَوْ بوضع الشُبهات وإلقائها على الناس بأساليب متنوعة لتحول بينهم وبين الحق، هؤلاء قُطاع الطُرق المجرمون الذين يحولون بين الناس وبين الخير والحق والهدى.

وقال الله عَزَّ وَجَلَّ في آخر الآية: ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ فيا أيها الموحد! يا أيها الداعي إلى الحق! لا تخف ولا تحزن، ولا تفتر عَنْ دعوة الحق فإنك مع اللَّهِ.

﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا﴾ يهديك إلى الحق.

﴿وَنَصِيرًا﴾ يُقدِرُك على كسر الباطل.

فلا يهولنك أيها الداعي إلى الحق ما تراه وتجده من الأعداء والمخالفين، وكُن على يقينٍ من ربك ومن نصر الله عَزَّ وَجَلَّ لجُنده، ابذل العِلم النافع محتسبًا الأجر عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا تلتفت إلى كثرة المُخالفين.

➢ وإذا تيقن المؤمن المُوحِد الداعِ إلى التوحيد وإلى كل حق من هَذِه القضية اليقينية؛ فإن هذا يثمر لَهُ أمورًا:

الأمر الأول: أن يثبت على دعوته ولا ينقص عنها لكثرة المُخالفين، وأن يصبر ويُصابِر ويرابط، المُوحِد السُني الذي أكرمه الله بهذه الكرامة العظيمة إذا عَلِم أن الرُسُل أشرف المُوحِدين كان لهم أعداء ومُخالِفون كُثر؛ فإنه يثبت على توحيده وإن خالفه أكثر الناس، وإن خالفه أكثر أهل البلد، وإن كان داعيةً إلى التوحيد وإلى الحق يثبت عَلَى دعوته ولا ينقص عَنْ ذلك أبدًا ولا يَفتر، بل يصبر ويُصابِر ويرابط متقيًا الله عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ مُوقِنٌ أنه على فلاح، وأنه يدعو إلى الفلاح.

الأَمْر الثاني: أن يُوَطِن نفسه على مَا سيلقاه من خِلافٍ وأذى، أن يُوَطِن نفسه على أنه سيجد مُخالفين وسيؤذونه ولا يتقون الله فِيهِ.. فيُهيئ نفسه لذلك.

الأمر الثالث: أن يتسلح بسلاح العِلم الصحيح المبني على الكتاب والسُنَة بفهم السلف الصالح الذي يقرر به الحق ويدفع به الشُبهات.

الأمر الرابع: أن يتيقن أن الحق مهما كان وضوحه لا يلزم الاتفاق عليه، فالعِبرة بالحقِ لا باتفاق الناس عليه، ولا بمواقِف الناس منه، وسُنَة اللَّهِ الجارية: أن أهل الحق أقل من أهل الباطل، فأكثر الناس يكونون في ضلال، وفي مُخالفةٍ للحق.

الأَمْر الخامس: أن يتيقن أن صاحب الحق إنَّمَا يتسلح بالحق، ولا يلزم أن يكون معه مَا يؤيده مما يراه أهل الدنيا قوة كما يظن المُبطِلون.

يا إخوة! أهل الباطل يقيسون الحق بموازين الدنيا فيقولون: نحن على الحق؛ لأن أكثر أهل الأَرْض على هذا، أَوْ يقولون: لأن معنا كذا وكذا.

أما أهل الحق فيَزِنون الحق بالحق، هل هم على مَا كان عليه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه؟ فإن عرفوا ذلك بالدليل علموا أنه الحق، المبطلون قالوا للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ [الإسراء: ٩٠].

المبطلون قالوا: ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا ۝٧ أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ [الفرقان: ٧، ٨].

☜ **مقاييس أهل الباطل**؛ مقاييس دُنيوية: مال، أمور دُنيوية يقيسون بها الحق ويزعمون بها أَنَّهُم على الحق.

☜ **أما أهل الحق**؛ فإن المقياس عندهم: هو مَا جعله الله مقياسًا للحق، مَا كان عليه الأنبياء عَلَيْهِم السَّلَامُ، فإذا عرف المسلم الحق تسلح به وعرف أنه به قوي وأنه على الحق.

(المتن)

وَقَدْ يَكُونُ لِأَعْدَاءِ التَّوْحِيدِ عُلُومٌ كَثِيرَةٌ، وَكُتُبٌ، وَحُجَجٌ.

(الشرح)

المخالفون للتوحيد ودعوة التوحيد الذين يدعون إلى الشِرك باسم الإسلام، والمخالفون للحق كلمَا ذُكِر الحق خالفوه، عندهم حُجج يُزخرِفونها وإن كانت في داخلها ضعيفة، لكنهم يُزَينونها، ويلمعونها، ويلمعون أصحابها، يُثني بعضهم على بعض، العَالِم فلان، والعَالِم فلان، والعَالِم فلان، ويُزخرِفون الأقوال، وعندهم كُتب تُكتَب وتقرر باطلهم.. وهذا موجودٌ في الواقع قديمًا وحديثًا.

فيا أيها الموحد! يا أيها الداعي إلى الحق! لا تظن أنك تقابل قومًا ليس عندهم حُجَج، ليس عندهم كُتب، بل عندهم حُججٌ مُزَخرَفة، وعندهم كُتبٌ مُؤلَفة.

(المتن)

كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [غافر: ٨٣].

(الشرح)

انظر: ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ البَينة: هِيَ التي تُظهِر الحق وتوضحه.

﴿ فَرِحُوا ﴾ أي: أن المخالفين للرُسُل، ﴿ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ فعندهم عِلمٌ.

➢ **وَهُوَ عِلمٌ من جهتين:**

- **الجهة الأُوْلَى:** من جهة ظنهم؛ فهم يظنونه عِلمًا وإن كان باطلًا في حقيقته.
- **والجهة الثانية:** من جهة زخرفتهم لَهُ، وتحسينهم له، وتزيينهم لَهُ؛ وإن كان هو في الحقيقة ليس عِلمًا بل هو أجهل الجهل، لكن من هاتين الجهتين هو عِلمٌ.

وانظر إلى المُقابَلة مَا مع أهل الحق بَينات، وما مع الذين يخالفونهم شيءٌ يظنونه عِلمًا يزخرفونه ويزينونه وإن كان في حقيقته ليس كَذَلِكَ.

(المتن)

إِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ، وَعَرَفْتَ أَنَّ الطَّرِيقَ إِلَىٰ اللهِ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ أَعْدَاءٍ قَاعِدِينَ عَلَيْهِ أَهْلِ فَصَاحَةٍ وَعِلْمٍ وَحُجَجٍ.

(الشرح)

يعني: أيها المُوحِد! إذا عرفت هَذِه الحقيقة اليقينية، أيها الداعي إلى الحق إذا عرفت هَذِه الحقيقة اليقينية، وعرفت يقينًا أن الطريق إلى الله لَا بُدَّ لَهُ من أعداء قاعدين عليه، والله صراط الله المستقيم الواضح البَيِّن على جنبتيه الأعداء من شياطين الإنس والجِن بالشُبهات والشهوات يدعون إلى مخالفته، وعلى رأسهم إمامهم إبليس.

هؤلاء الأعداء متكلمون بالألسنة ليسوا خُرسًا، بل هم متكلمون عندهم عِلمٌ على مَا وصفنا، وعندهم حُجَجٌ مُزَخرَفة؛ إذا تيقنت ذَلِكَ: فالواجب عليك أن تحذر من الأعداء؛ وذلك: بأن تُعرِض عنهم ابتداءً وأَلَّا تسمع لهم، إذا استطعت أَنْ لَا يدخل سمعك إلَّا الحق فافعل، لا تُمَكِن مبتدعًا من أذنك ولو على سبيل الفضول، كان السلفُ إذا سمعوا مُبتَدِعًا يتكلم، قالوا لِمَنْ معهم: أغلِقوا آذانكم.

☜ **ولذلك أنا أقول يا إخوة:** مقاطع المخالفين للتوحيد، المخالفين للحق؛ لا يجوز لعامة المُوحِدين أهل السُنَة أن يستمعوا لها ولو على سبيل الفضول نريد أَن نرى مَاذَا يقولون، نريد أن نضحك منهم؛ فَإِنَهُم يُزَخرِفون الكلام، أما أهل العِلم والبصيرة فلا بأس أن يعرفوا مَا يقوله المُبطلون ليردوه، ويكسروه، ويدفعوا شره عَنْ عامة المسلمين.

➢ **فإذًا أيها المُوحِد! أنت في نفسك عليك أن تلزم أمرين:**

الأَمْر الأول: أن تتعلم التوحيد بأدلته، وأن تتعلمه من أهل العِلم المعروفين كما في كتاب **"التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب"** رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

الأَمْر الثاني: أن تحمي سمعك وقلبك من شُبهات المخالفين للتوحيد وأَلَّا تُمكِنهم من نفسك، أما أنت أيها الداعي إلى التوحيد: فينبغي عليك مع الأَمْر الأول وَهُوَ تعلم التوحيد وتعلم أدلته وأوجه دلالتها: أن تعرف مَا عند أهل الباطل من شُبه وحُجَج حتى تستطيع كسرها، وردها.

➢ **والمعلوم يا إخوة! أن أهل الباطل عندهم حُجَج على نوعين:**

النوع الأول: حُجَجٌ صحيحةٌ في ذاتها؛ هِيَ حُجَةٌ عليهم لا لهم.

أهل الباطل أيًا كانوا عندهم من الحجج نوعان؛ النوع الأول: حُجَجٌ صحيحة: إما آية، أَوْ حديث صحيح يحتجون بها وَهِيَ عليهم وليست لهم، فمَنْ تعلم يستطيع أن يقلب حُجَجَهم عليهم.

كما احتج واحدٌ من أهل الإشراك على رجلٍ مُوحِد، وقال: الشهداء أحياء عند ربهم ونحن نجعلهم وسائط بيننا وبين الله وهم أحياء؛ فقال لَهُ المُوحِد: هم أحياء يَرزقون أَوْ يُرزقون، فقال: يُرزقون كما قال اللَّهِ، قال: إذًا مَن الذي يرزقهم؟ قال: اللَّهِ، قال: إذًا أطلب من الذي يرزقهم، أطلب من الذي يَرزق لا من الذي يُرزق.

مَا من حُجَةٌ صحيحة يحتج بها مُبطِلٌ على أي باطل إلَّا وَهِيَ عليه وليست لَهُ؛ فينبغي على الداعية إلى التوحيد أن يتعلم هذا.. ومن أصول تعلم هذا أن يقرأ للعُلماء الذين مارسوا هذا كشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، وشيخ الإسلام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ؛ حتى تكون عنده مُكنَة من الباب.

النوع الثاني من حُجَج أهل الباطل: حُجَجٌ ليست صحيحة، وهذا كثيرٌ عندهم؛ كأن يحتجوا بأحاديث موضوعة، أَوْ ضعيفة، أَوْ بأمور يدفعها العقل؛ وهنا الداعية إلى التوحيد يُبَيّن بهذا الاحتجاج منهم جهلهم، ويكشف جهلهم، ويكشف كلامهم الساقط.

عندما يأتي رجلٌ من أهل الباطل ويقول: أنتم تأخذون علمكم عَنْ الأموات، ونحن نأخذ علمنا عَنْ جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، عندما يأتي واحد منهم ويقول: عِمامتي هَذِه أخذتها بالسند ليس بيني وبين رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلَّا رجلٌ واحد هو أبي، مَا شاء الله أبوه صحابي وَهُوَ تابعي؛ لأن أباها أخذها من الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رجل يعيش الآن معنا حي موجود الآن.

بل سمعت أحدهم يقول: عِمامتي هَذِه صحابية، والله لا عقل له، الموحد هنا يتعلم؛ أعني: الداعي إلى التوحيد يتعلم كيف يكشف بهذه الحُجج جهل أولئك المتكلمين، وسقوط دعاواهم، وأَنَّهُم لا يبنون دينهم على شيء، وإنما يبنونه على هواء، على باطل.. فالواجب هذا.

إذًا عرفنا مَا يجب على المُوحِد، وما يجب على الداعي إلى التوحيد، مَا يجب لِمَن هو على الحق، وما يجب على مَنْ هو داعي إلى الحق.

(المتن)

فَالوَاجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَعَلَّمَ مِنْ دِينِ اللهِ مَا يَصِيرُ سِلَاحًا لَكَ تُقَاتِلُ بِهِ هَؤُلَاءِ الشَّيَاطِينَ، الَّذِينَ قَالَ إِمَامُهُمْ وَمُقَدَّمُهُمْ لِرَبِّكَ: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦، ١٧].

(الشرح)

فإبليس وأعوانه يقعدون للناس على الصراط المستقيم، ولا يتركون طريقًا يستطيعون الوصول منها إلى إغواء الناس إلَّا فعلوه: باب الشُبهات، باب الشهوات.. وإن كانوا أحرص على باب الشُبهات؛ لأن الشُبهات تُفسِد الدين مباشرة وتصعب التوبة منها.

☜ **إذًا الآن الشيخ صور لنا صورة:** أنت أيها المُوحِد الداعي إلى التوحيد، الداعي إلى الحق؛ ستواجه أعداءً، ستواجه مخالفين، عندهم عِلمٌ، حُجَجٌ، كُتبٌ يعضد بعضهم بعضًا وهذا شأن أهل الباطل على مر العصور يتحدون ضد أهل الحق وإن اختلفت مشاربهم.. وعرفت مَا يجب عليك؛ سيلتفت الشيخ الآن إلى قلبك: مَاذَا تُثمر هَذِه المعرفة في قلبك؟ هل يهولك هذا، ويُخيفك هذا، ويجعلك هذا تتردد، أم أن قلبك يكون مَليئًا باليقين؟ هذا مَا يبينه الشَّيْخ.

(المتن)

وَلَكِنْ إِنْ أَقْبَلْتَ عَلَىٰ اللهِ، وَأَصْغَيْتَ إِلَىٰ حُجَجِ اللهِ وَبَيِّنَاتِهِ؛ فَلَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

(الشرح)

إذا أقبلت على اللَّهِ، وأخلصت لله، وقلت لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وتسلحت بحُجَج الله من القرآن والسُنَة؛ فأنت القوي بإذن اللَّهِ وبقوة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فكُن قوي القلب على يقين، لا تخف من كثرة الأعداء، ولا تحزن مما تلقاه من أذى، فكيد مُخالفيك ضعيف وحُجَجك قوية، أنت تأخذ حُجَجك من الكتاب والسُنَة من وحي اللَّهِ، وهم إنَّمَا يكيدون بكيد الشيطان وكيد الشيطان ضعيف؛ كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ هو في حقيقته ضعيف؛ فإذا قُوبِل بالحُجَج انهار.

فحُجَج أهل الباطل مهما زينوها داحضة، زاهقةٌ، باطلةٌ أمام عِلم أهل الحق، أمام حُجَج أهل الحق، ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الشورى: ١٦]، وحُجَج أهل الحق ناهضة، قائمة، مستقيمة، وتأييد الله لهم ظاهر.

قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]، ومَن كان الله معهم فَإِنَّهُم منصورون.

(المتن)

وَالعَامِّيُّ مِنَ المُوَحِّدِينَ يَغْلِبُ أَلْفًا مِنْ عُلَمَاءِ هَؤُلَاءِ المُشْرِكِينَ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧٣].

(الشرح)

العامي المُوحِد الذي عَرف التوحيد بأدلته، ليس مُراد الشيخ بالعامي هنا الجاهلة، وإنما مُراده: العامي المُوحِد الذي عرف التوحيد بأدلته، لم يكُن من العُلماء فهو عامي، لكنه مُوحِدٌ، على يقينٍ من توحيده، عرف التوحيد بأدلته مع سلامة فطرته.

(يَغْلِبُ أَلْفًا مِنْ عُلَمَاءِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ) نعم والله، المُوحِد منصورٌ بنصر الله لَهُ، فلو اجتمع عليه ألف عَالِم من علماء الباطل لغلبهم بتوحيده وعلمه بالتوحيد وفطرته.. وهذا معلوم.

☜ **ولذلك يا إخوة:** لما دخل الهمداني وكان الجويني يُقرِر أن الله في كل مكان وينفي أن الله في السماء، فما كان من الهمداني إلا أن قال لَهُ: فما تقول في انجذاب قلب المحتاج إلى السماء، ورفعه يديه عند حاجته؟ دليل الفِطرة، فقال الجويني: حيرني الهمداني حيرني الهمداني وأصبح يضرب على رأسه.

☜ دخل أعرابيٌ في العراق المسجد وكانت ناقته قد سُرِقَت منه فأخذ يبحث عَنْ شيخ أَوْ رجل صالح ليدعو الله لَهُ أن يردها إليه، فوجد شيخًا من المعتزلة وحوله بعض طلابه، فذهب إليه وطلب منه أن يدعو لَهُ أن يرد الله ناقته، فقال هذا الشَّيْخِ: اللّٰهم إن دابة هذا العبد قد سُرِقَت منه وأنت لم تُرِد سرقتها اللّٰهم فارددها إليه، قال: إليك عني مَا أريد دعاءك، قال: لِمَ؟ قال: إله عاجزٌ تُسرَق الدابة وَهُوَ لا يريد سرقتها لن يستطيع ردها، فِطرة تهدم علوم المبطلين.. فلا شك في هذا يا إخوة.

ولذلك ترى المُوحِد العامي الذي عرف التوحيد وتيقن منه على يقينٍ وثباتٍ أكثر من عُلماء أهل الباطل في باطلهم، مهما كان أهل الباطل في تردد، وهم يستيقنون في قلوبهم أَنَّهُم على باطل، أما أهل التوحيد وأهل الحق تجد أَنَّهُم على يقين وهم من جُند الله وجُند الله طال الزمان أَوْ قَصُر هم الغالبون.

(المتن)

فَجُنْدُ اللهِ هُمُ الغَالِبُونَ بِالحُجَّةِ وَاللِّسَانِ، كَمَا أَنَّهُمُ الغَالِبُونَ بِالسَّيْفِ وَالسِّنَانِ.

(الشرح)

نعم يا إخوة! الجهاد في سبيل الله قد يكون بالحُجَج والبيان لتقرير الحق ودمغ الباطل وهذا هو الجهاد الكبير؛ قال تعالى: ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢] أي: جاهدهم بالقرآن جهادا كبيرًا، كما يكون الجهاد بالسيف والسِنان على الوجه المشروع كما هو معلومٌ في كتب الفِقه.

وإذا أخلص المجاهدون لله واتبعوا رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واستعدوا كما أمرهم الله بقوله: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠] كتب الله لهم الغلبة ونصرهم على أعدائهم.

﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ [المجادلة: ٢١].

﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [غافر: ٥١].

﴿وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧٣].

لا نشك في هذا مقدار شعرةٍ ورب الكعبة، إن عَزَّ وَجَلَّ ينصر جُنده، إن الله عَزَّ وَجَلَّ ينصر المؤمنين إنْ هُم نصروه؛ فهم الغالبون.

وإذا كان كما قال الشَّيْخ: (وَالعَامِّيُّ مِنَ المُوَحِّدِينَ يَغْلِبُ أَلْفًا مِنْ عُلَمَاءِ الباطل) فكيف بالعَالِمِ من المُوحِدين؟ الذي عرف التوحيد بأدلته مع عِلمٍ يشمل: علم الأصول، وعلم الآلة؟ لا شك أنه الجيش المنصور وإن كان واحدًا، والأمة والفِرقة الناجية ولو كان وحده.

فالمُوحِد ينبغي أن يستعد مع قوة قلبه، المُوحِد ليواجه أهل الباطل إذا كان سيدعو إلى التوحيد، إذا كان سيدعو إلى الحق لَا بُدَّ من أن يستعد بعِلمٍ، ومن أن يعالج قلبه حتى يصير مُخلصًا لله وأن يُجَرِد اتباعه لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن يقوي قلبه.. لِمَا تقدم ذِكره.

(المتن)

وَإِنَّمَا الخَوْفُ عَلَىٰ المُوَحِّدِ الَّذِي يَسْلُكُ الطَّرِيقَ وَلَيْسَ مَعَهُ سِلَاحٌ.

(الشرح)

(وَإِنَّمَا الخَوْفُ عَلَىٰ المُوَحِّدِ) الذي يدعو إلى التوحيد وليس معه سلاح، مَا عنده عِلم يكفي لتقرير الحق وَرْدَ الباطل فإن هذا يخشى عليه.

➢ لأن مَن يدخل المعركة لَا بُدَّ لَهُ مع قوة النفس من أمرين:

١-أن يكون معه سلاحٌ ماضٍ.

٢-وأن يُحسِن استعماله.

مَنْ لَمْ يكن معه سلاح يُقتَل في أول الأَمْر، ومَنْ كان معه سلاحٌ لا يُحسِن استعماله لن ينتفع به؛ يكون حاله كما قال القائل:

جاء شَقِيقٌ عارضًا رُمْحَه ... إن بني عمك فيهم سلاح

شقيق عنده رمح لكن مَا جاء به مستعدًا جاء به عارضًا لَهُ، والقوم عندهم سلاح.. وهكذا أنت أيها الداعي إلى التوحيد، إذا دعوت إلى التوحيد بلا عِلم فإنك كساعٍ إلى الهيجاء بغير سلاحٍ.

وإذا دعوت ومعك عِلم لكنك لا تُحسِن إعماله؛ فإنك لن تنتفع بذلك وسيعود الضرر عليك وعلى دعوتك، ستنكسر أمام أهل الباطل، فيعلو أهل الباطل أمام الناس وتضعف حُجتك، وينظر الناس إلى دعوتك على أنها باطل، وإلى دعوة أهل الباطل على أنها حق.. وهذا ضررٌ عظيم.

إذا كان هذا في كل زمان فهو في زماننا أعظم، الداعي إلى التوحيد إلى الحق والله في هذا الزمان يحتاج إلى صبر عريض، السُفهاء في زماننا أكثر، وسوء أدبهم أعظم، ووسائل إيصال آذاهم أكثر، وانظر إلى الواقع! انظر إلى هَذِه الساحة الموجودة اليوم! مَا أن يقول قائل من أهل الحق شَيْئًا إلَّا يتناوشه أهل الباطل من العامة وغيرهم بالسب، والشتم، والأذى بل والتهديد.

☜ **من عجيب يا إخوة**: أن واحدًا من فلسطين ولا يمثل أهل فلسطين، أرسل لي رسالة يقول: أبشر بالقتل فإنَّا قادمون لقتلك، قلت: سبحان اللَّهِ! كيف تتقلب الأمور بالناس ويتمادون في الأذى، نعوذ بالله من سوء الحال.

فالداعي إلى الحق الذي يُريد أن يُعلِم الناس العِلم النافع، والتوحيد، والسُنَة، ويُثبتهم بتثبيت الله عند النوازل لَا بُدَّ لَهُ من صبرٍ عريض في هذا الزمان، وَلَا بُدَّ أيضًا من عِلمٍ سديد نافع، وَلَا بُدَّ من أسلوبٍ صحيح يُوصَل به العِلم النافع إلى الناس، أما هداية القلوب فبيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

لكن إياك يا طالب العِلم! أن تُدخِل نفسك في ساحة الدعوة وأنت بلا سلاح، أَوْ معك سلاح كسلاح أهل الباطل ليست حُجَجًا شرعية وإنما تظن ظنًا كما يظنون، بل كُن مُتسلحًا بسلاح أسلافك: العِلم بالكتاب والسُنَة بفَهم السلف الصالح مع معرفتك بكيفية رد حُجَج أهل الباطل.

(المتن)

وَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا بِكِتَابِهِ الَّذِي جَعَلَهُ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ، وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ، فَلَا يَأْتِي صَاحِبُ بَاطِلٍ بِحُجَّةٍ إِلَّا وَفِي القُرْآنِ مَا يَنْقُضُهَا وَيُبَيِّنُ بُطْلَانَهَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣]، قَالَ بَعْضُ المُفَسِّرِينَ: «هَذِهِ الآيَةُ عَامَّةٌ فِي كُلِّ حُجَّةٍ يَأْتِي بِهَا أَهْلُ البَاطِلِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ».

(الشرح)

الله عَزَّ وَجَلَّ مَنَّ على أهل الحق، عَلَى أهل التوحيد، على أهل السُنَة بعِلم الكتاب والسُنَة بفهم سلف الأمة، وهذا الذي فيه الهدى والنور.

فالمُوحِد الداعي إلى الحق إذا كان متمكنًا من الحُجَج الشرعية، وكان عارفًا بكيفية دفع الشُبه يُصلِح الله به مَنْ أراد هدايته، وهذه المقدمة تُهيئ طالب العِلم والمُوحِد إلى مَا سيأتي تقريره من كشف الشُبه، وكسر الشُبه وردها.

هنا تنتهي المقدمة التي قَدَم بها شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ للكتاب.

من المجلس القادم إن شاء الله سنشرع في معرفة كيفية رد الشُبه إجمالًا وتفصيلًا وليس ذلك حصرًا لكل الشُبه، وإنما ذَكر الشيخ رؤوس الشُبه، وأصول الشُبه، ومَنْ عَرف كيف يكسرها فهو على كسر غيرها إن شاء الله أقدر.

هَذِه الشبه وردُها يحتاج أن يعرفها المُوحِد؛ لأَنَهَا تُطرَح في الساحة، ويعرف كيف يدفعها عَنْ نفسه هُوَ، ويحتاج أن يعرفها الداعي إلى التوحيد ليعرف كيف يكسرها وكيف يدفع شرها عَنْ الناس.

نقف عند هَذِه النقطة سائلين الله عَزَّ وَجَلَّ أن يُفَقِهنا في دينه، وأن يُثبِتنا على التوحيد والسُنَة، وأن يُكرمنا بأن نكون من دُعاة التوحيد والسُنَة، وأن يثبتنا ويصبرنا حتى نلقاه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ونحن ذلك، واللهُ تَعَالَىٰ أَعْلَى وَأَعْلَمُ.

وَصَلَّ اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ.